كيُّ الأوجاع الرّثَّـــة

كيُّ الأوجاع الرّثَّة (شعر)

هدى أبلان (شاعرة من اليمن)

الطبعة العربية الأولى 2022.

© حقوق الطبع محفوظة بموجب عقد 2022.

الآن ناشرون وموزعون

المدير العام: د. باسم الزعبي

الأردن، عمّان، شارع الملكة رانيا، بجانب صحيفة «الرأي»، مجمع المفلح التجاري(87)، ط1.

هاتف: 797162720، 65620722 (962+)

alaan.publish@gmail.com

www.alaanpublish.com

لوحة الغلاف: «منظر طبيعي» للفنانة د. آمنة النصيري/ اليمن

تصميم الغلاف: م. سجود العناسوة

All rights reserved. No part of this book may be reproduced، stored in a retrieval system or transmitted in any form or by any means without prior permission in writing of the publisher.

جميع الحقوق محفوظة. لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أيّ جزء منه أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقله بأيّ شكل من الأشكال، دون إذن خطّي مسبق من الناشر.

ISBN: 978-9923-13-538-9

المملكة الأردنية الهاشمية

رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية

(3891/ 8/ 2022)

811.9

أبلان، هدى علي عبده

كي الأوجاع الرثة/ هدى علي عبده أبلان: الآن ناشرون وموزعون، 2022

(160) ص

ر. إ: 3891/ 8/ 2022

الواصفات: الشعر العربي/ / الأدب العربي/ / العصر الحديث/

يتحمل المؤلف كامل المسؤولية القانونية عن محتوى مصنفه ولا يعبّر هذا المصنف عن رأي دائرة المكتبة الوطنية أو أي جهة حكومية أخرى

هدى أبلان

كيُّ الأوجاع الرّثَّـــة

شعر

الإهداء

إلى المدينتين العربيتين العظيمتين اللّتين بكيت فيهما كثيرًا:

الرباط حين ماتت أمّي

وصنعاء حين مات وطني..

في الأولى أقمنا العزاءات وبنينا من ملامحها معمارًا في الروح

وفي الثانية لا عزاء يرمّم القلب إلا السّلام..

وإلى أحمد

وأشواق

والصغير نشوان

الذين لا يزالون يتحسّسون طريقهم في قلب المأساة..

هدى أبلان

«الفـارق الكبـير بيننـا هـو أنـك تـؤمن بأنـك قـد وَجـدتَ خلاصـك، وباعتقادك هذا نجوت. أما أنا فأؤمن أن الخلاص غير موجـود، وباعتقـادي هذا نجوت»..

نيكوس كازانتزاكي
تقرير إلى جريكو

قفص الاتهام

فتيةٌ انسلّوا من البحر

توضَّأوا بزُرقَتِهِ

غَمَسوا فيهِ جمرَ أحزانهم

تعالى دُخان الهاوية

استدارَت قفصًا

معجونًا من أوردة الموت..

ذابَتْ فيه كلُّ الدُّنيا

وبقيَتْ قمصانٌ زرقاءْ

عالقةً في حَلْق الذوبانْ

خيالَ مآتة

تهُشُّ ذئابَ اللحظةِ

كي لا تأكلَ حصادَ الروحِ

وتدسُّ عواءها في أذن البحر

فيضيق إلى قطراتٍ في قارورةٍ

شاحبةِ الاتساع..

القمصانُ معلَّقةٌ على حديدٍ فاضحْ
تطلقُ رفرفة التَّلويحِ
لأيدٍ مكلومةٍ بالماء
يغسلُ العالقَ من أشواك الرُّوحِ
الداكنَ من سمرةِ الشَّمسِ
والمتناثرَ من لُعاب الأشباح..

القمصانُ تمسحُ عرقَ القفصِ
الّذي يتساقطُ خجلًا
كونَه يُحيطُ حدَّ الالتهامِ
بخفقاتِ أجنَّةٍ في رَحِم الأمّهاتِ
خفتت في كلِّ شيءٍ
لكنَّها أَسرَجَت شعاعَ البكاءِ
في ظلام الولادة..

القمصانُ تمسح بكاءَ القفصِ
تمدُّ شبكةَ التَّلاشي
وتلتقطُ رصاصةً طافيةً أعلى اليمِّ
نسيَها قابيلُ نازفةً في صدرِ أخيهِ
سَكَبَها سرًّا من عينيهِ
وسقطَ مغشيًّا..
يدعو إلى قاتلٍ تالٍ
يعبث بالموتِ بين يديهِ
فيركض إلى مرمى الحَتفِ
وحيدًا إلا من جثَّتِهِ
تنهشُها حيتانُ الزرقة..

القمصانُ تبتهجُ..

كونَها تُشبهُ لونَ السَّماءِ

تشدُّها من خيبةِ الطفوِ

إلى لذَّةِ الصُّعودِ

يستحيلون ضبابًا مفرطًا في النُّعومةِ

تنامُ على مخداتِهِ

رؤوسٌ جعلت السَّيفَ ينزفُ

فهرع إلى غِمدِهِ مختبئًا

كي تنامَ الحقيقة..

تسامح

إلى ع. ز

حين توارى خلفَ الرؤيةِ
وغمرَتهُ السَّكينةُ الأبديَّةُ
فُتحت أمامَهُ شبابيكُ الحسرة
لهُ أن يحطَّ على راحةِ الحلمِ
كأيّ منقار سماويٍّ
يلتقطُ السؤالَ
مغمورًا بألوان الدهشةِ
داخلًا في اللوحةِ الباهتةِ
تلك التي يُسمّونها بلادَ ما بعد السعادة..

فيها الكثيرُ من مِداد الخذلانِ

للأعلى الّذي لم يعُدْ غيبًا هاطلًا

بلْ قهرًا بمستوى الإطارِ

يضيقُ ككلِّ الجدرانِ

حين يتّكئُ عليها النحولُ

فتذوبُ من لوعةِ الحاجةِ

ورهافةِ الكائن..

نحنُ الكامنينَ في أقفاصٍ جدباءَ

معلَّقةٍ في عُنُق العالمِ

دماءً تشكيلية..

أخبرَتْهُ عن الضجرِ

عن بشرٍ ليسوا أكثرَ من ظلالِ خوفٍ

تدبُّ في حُرقة النَّهاراتِ

حاملةً راياتٍ تصفّق للسَّرابِ..

وعن أحزان السُّحبِ

والمطر الّذي نام طويلًا على خدِّ الانتظارِ

حتّى أدمنَ الجفافَ

وأصبحَ من مرتادي الصَّحاري..

أجابني: ماذا سيفعل المطرُ

في أجسادٍ تسلَّقَت النارَ

واستحالَتْ حطبًا

في وقودِ التجاربِ

وغثيانًا في أمعاءِ الدنيا؟!

سألتُه كثيرًا

عن ماذا بعد؟

والرصاصةُ التي حمَلَتْه بعيدًا

هل غادَرَتْهُ

وأزهرَت بجوارِهِ؟

ما لونُها حين تُفلت من مخالبِ الإنسان؟

قال:

يبقى المخلبُ تحتَ الجلدِ

يذوبُ ملحُهُ كلَّما حمَّمتنا الأمَّهات..

ويتوهَّجُ النِّسيانُ
في نوافذ عمرانٍ سيتطاولُ
من دمع الوقتِ
وطينِ الأحزان..

ثالث الخطوات

كانت لي قدمانِ

ركضتُ بما يكفي

لأنسُجَ خارطتي الممتدَّةَ

وجوهًا من دموعٍ

وأمكنةً من خرابٍ

وما بينَهما خطوطُ حبرٍ

تؤرّخ للحبِّ لحظةً مطفأةً

وللحربِ متواليةٍ من الاشتعال..

ماذا تفعلين بيدي أيَّتُها العصا؟!

تُقيِمين اعوجاج التَّأرجحِ

لإيقاعِ سنبلةٍ مثقلةٍ

تندسّينَ بينَ خطواتي

كشيطانٍ ثالثٍ

تُصيخين السَّمعَ

لقدمين عشقتا الدُّروبَ

وذابتا أسرارًا في غيهبِ الظُّلُمات..

تتلصَّصينَ على الفرحِ

وتلكزين بأعقابكِ آخرَ الابتسامات..

نثرَها الحالمون على الطُّرقاتِ
تذكارًا للأرضِ حينَما تدورُ
تغسلُ أدرانَها كلَّ صباحٍ
تحرثُ تربةَ الحنينِ
وتهشُّ من حولِها الأحزان..

تُربِّت العصا على رأس السعادةِ
تلك الشَّعثاءُ بلا لغةٍ
غيرِ تأتأةِ الظلمةِ
وانكسارِ مشطِ الحضارةِ
الّذي يُسرّح أفكارَ الأشقياءِ
وهم يعجنون طينَ الكابوسِ
تشدُّ العصا من قسوتِهِ
فيدوسُ على أحلامٍ ضعيفةٍ
ويمضي مفتولَ الخطوات..

ماذا تفعلين بجواري أيَّتها العَصا؟!

بعد أن ذابت بلادٌ على خُطاكِ

يقبضُ هباؤكِ على رأس حياةٍ

تتدفَّقُ في أودَي

أنتِ موعودةٌ بالتَّآكلِ

لستِ أكثرَ من إطارٍ للوحشةِ

قفّازٍ للأنبياء..

تستحيلين نبضًا دافقًا في دمِ القَداسةِ
تتهاوى قبلَكِ
ولن يبقى من غفوتِكِ غيرُ النَّملِ
يؤرّخُ للسُّقوطِ
ويتلعثمُ ريّانًا بينَ سُطور الكتاب..

عزاء غض

أعرفُ أنَّ العنوان ليس شاعريًّا
ولا يُحلّق في الخيالِ
ولا يشبهُ دمَهُ الهاطلَ من أحلامِهِ اللَّبنيَّةِ
ولا يضعُ وجهًا غضًّا على صفحة الكلامِ
نتهجّى ملامحَهُ كأيّ أبجديَّةٍ
تلوكُها الأفواهُ الصَّغيرةُ
تشيخُ في رمحِ النِّهاية..

الأبجديَّةُ الّتي خلعَت جلبابَها
وأصبَحَتْ فأسًا في شجرةِ الحياةِ
تفلقُ الأرواحَ الّتي تمضي غضَّةً
لم تَخدشْ بعدُ مسافاتِ الأرضِ
لم تُزهرْ في صخرةِ اليقينِ
لم تنبضْ بين أيدي الحبيباتِ
ولم تتذوَّقْ المراراتِ بعد..

ينتظرون الانتهاء من رشفةِ حليبٍ
لا يكتظُّ به صدرُ الدنيا كثيرًا
يخطفون علكةً مخبَّأةً في جيب الحظِّ
فيدور العالمُ بين أفواهِهمْ
ويعرفون أنَّهم في «السعيدةِ»
حيثُ تنمو الفجيعة بمخالبها السُّورياليَّة..

قيل إنَّها تاريخٌ من الدَّمِ

انسكب على قمصانِهم

حين خرجوا من فضاءِ أمَّهاتهم

إلى رَحِمِ المعارك الضَّيِّقةِ

وتقابلوا في الظُّلُماتِ

صَفَّين من اليفاعة المضطَّهدةِ

تزهرُ فيها نارُ التَّكرارِ

فيورقُ الجحيم..

من حملَ أعوادَ الثِّقابِ إلى رأسِهِ

فأشعلَ ستائرَ الغيابِ

وذابَ في لُجَّةِ الحريقِ

وتركَ طيفًا يداعبُ أمَّهُ

يقذف إلى صدرِها كرةَ النِّسيانِ

يحلم أن تعيدَه إلى أحشائها

ليذوبَ في زهوٍ آخرَ

يُطلقُ أسئلةً في الفضاءِ

يبعثر سِهام الاشتعالِ

يقذفُها إلى الأعلى

بما يشبِهُ ركلةَ الارتفاع..

يحدثُ لي أنْ أضغطَ على جَرَسِ البابِ
فتخرجَ الأحزانُ لاستقبالي
بعينين متورِّمتين منذ الأزلِ
وسوادٍ شاخَ فوق البيوتِ
قُدَّ من قمصانِهم
واستحال رايةً لعزاء المسرّات..

ألقيتُ التَّحيَّةَ على جُبَّةِ الدُّموعِ

سألتني من التالي؟

قلتُ: أحدُهم

أرى أشلاءَهُ تبرقُ في عينيكِ

فلا تغمضيهما

كي لا ننسى لونَ الموت..

تناسلَ من ظلِّها ظلماتٌ

وتعالَتْ أصواتٌ:

«لا تُصدّقوا أنَّ الآباءَ لا يبكون

لا تُصدِّقوا أنَّ الأمَّهات يزغردن»..

من يدقُّ على طبلة القلبِ

فيرفعَ الرَّحيلُ عقيرتَهُ بالنَّشيجِ

ويتداعى الجميعُ هشيمًا

تذروهُ الرِّياح..

أشياء تدلُّ الحربَ علينا

لسنا أكثرَ من موتى

ننتشرُ على امتداد الأمنياتِ

نكوِّمُها اتكاءاتٍ باذخةَ الثرثرةِ

غيرَ قابلةٍ للخروجِ من المرآةِ

والقفزِ إلى وهجِ اليدين..

وحينَ نتعبُ من رفقة الزُّجاجِ
الذي يبكي دمًا بين الأصابعِ
ويغرسُ خناجرَه فرطَ الأُلفةِ
نتمرَّنُ على الاختباءِ تحتَ التُّرابِ
بفعل طلقاتٍ تختصرُ الوقتَ
وتجزُّ عُنُقَ الانتظارِ
تأتينا من ثقبِ واحدٍ للقسوةِ
ونُهرَعُ إليها من كلِّ اتجاه..

(1)

النجمةُ تدلُّ الحربَ علينا
تشعُّ في الأعلى
تتلصَّصُ مناجاةَ الأصابعِ
النَّائمةِ بجوارِ الفقدِ
تتحسَّسُ المتناثرَ من ظلِّه
وتفرشُ له غطاءَ الزَّوال..

كلَّما أوقدوا في وحشةِ القلبِ شوقًا
تشكَّلَ من رحيق السؤالِ
تدلَّت مائدةُ الخوف إليهمْ
حطَّتْ أصنافَ المراراتِ
قَضَموا غفوةَ العشقِ
ذابوا في انتشاءِ الضَّوءِ
استحالوا خيالًا في عتمةِ النَّحيب..

(2)

النارُ تدلُّ الحربَ علينا

هي التقاءُ حجرينِ

انبعثا من قسوةٍ في روحِ آدمَ

لحظة توقَّفَت يدان عن رمي التَّحيةِ

وغابتا في لعبةِ نردٍ

تجعل الحياةَ صفَّينِ متقابلينِ

يرتطمانِ بالثَّلجِ بينَهما

فتكبرُ الكرةُ

وتذوبُ اللغة..

يرتعشُ النَّايُ في ثغرِ الأرضِ
وتغيبُ الموسيقى في حفلةِ زارٍ
تتَّقدُ سلالةُ الحطبِ
ترقصُ النَّارُ بما تبقَّى من قدمينِ
كافيتينِ لركلِ الرَّمادِ
يتآكلُ المكانُ والزمانُ
ويتعالى تمثالُ النَّدم..

اختبأَتْ فكرةٌ لائذةٌ بين خيوطِ الذِّهنِ
قفزت من إطارِ اللُّعبةِ
تريد أن تكونَ قطرةً في ذروةِ المسرَّاتِ
يتلقَّفُها سيلُ الظامئين..
وحين ينتشونَ
يشعلونَ عودَ ثقابٍ
ويحرقونَ الذِّكرياتِ
الّتي سارت عطشًا
في فيضِ الدُّموع..

(3)

المطرُ يدلُّ الحربَ علينا
يبدأُ من ظمأٍ عاصفٍ في كائنات الروحِ
يكدُّ في كسبِ الامتلاءِ
يرتقي حبًّا نحو الغيماتِ
ينسكبُ ليسَ أكثرَ من زخّاتٍ
سرعانَ ما تهطلُها الأمُّهاتُ
في خريفِ الجماجم..

المطرُ العاصفُ دلَّ الموتَ علينا

أينعَ في حَدَقاتِ الحزنِ

أثمرَ في عطشِ التوابيتِ

نسيَ لونَ السَّنابلِ

الّتي انتظرَتهُ عند مفترقِ الجوعِ

وجفَّ في سوادِ المظلّات..

أيقظَ الطوفانَ من سُباتِهِ الأوَّلِ
ومضى خلسةً عند قبرِ نوحٍ
كي لا يتدلّى حبلُ النَّجاةِ مرَّةً أخرى
أطفأَ النَّشوةَ في الأخشابِ
وهي تنتظرُ رشفتَها الموعودةَ
وتركَ الأيدي عاطلةً من رحابةِ الأمل..

(4)

البحرُ يدلُّ الحربَ علينا
فسحةٌ شاسعةٌ من نبيذِ الغيومِ
يتغزَّلُ بغرقى يذوبونَ في لجَّة الارتباك
ويتأنَّق صباحًا في حضرةِ المدنِ المطلَّةِ عليهِ
الواقفةِ بينَ أصابعِهِ
تغيبُ من شراسةِ الامتلاء..

ترفعُ قبعةَ الوجدِ
فيطلقُ عليها سنارةَ الصَّيدِ
يلتهمُ الحيواتِ الغافيةَ في الأعماقِ
بحثًا عن أسلافٍ مرُّوا
وتمتماتِ من دقّوا بعصيِّهم
فانبلجَ اليباس..

البحر يدلُّ الموتَ علينا
كم أملحَ جراحَ الأرضِ
أودعَ رؤوسًا في رَحِمِ النِّسيانِ
ومزَّقَ القرصانُ تلابيبَ السُّحبِ
وهي تنحني مثُقلةً بأبناء
من نَسَلَ السَّماواتِ
يغسلون الداكنَ من ثرثرةِ الأمواجِ
يخرجون من حَدَقاتِ السِّيرةِ
ليواروا جثمانَ العاثِرِ
في بحرِ الظُّلمات..

(5)

الحبر يدلُّ الحرب علينا
يتَّقدُ سوادًا بين الأرواحِ
يجري دمًا بين الأصابعِ
بحثًا عن صفحات الأمسِ
يضعُ فوق الغفوةِ جَرَس التَّذكرِ
فتقرأُ الرؤوسُ سطورَ الانبعاث..
يتمايلُ الفقراء خفَّةً في ألواح الفرزِ
يسبقهم النَّشيدُ إلى بابٍ مبهم
فيدلف الجوعُ مطرَّزًا بالخيبة..

تقفُ الكلماتُ في كلِّ الدروبِ
وتنضج أكثرَ على عتبات النَّارِ
تسكبُ جمرًا بينَ الأوراقِ
تعالى الحبرُ التَّائهُ في وَهَج الألوانِ
يغمرُهُ العَطشُ
يشربُ من أخطاء الروحِ
ينبوعًا من الحَسَراتِ

يكتب الممكنَ من بطءِ الكائناتِ
الّتي لا تمُدُّ ظلَّها كثيرًا
في كلِّ خطوةٍ إلى الخلفِ
تنبتُ أصابعُ الشيطانِ
بذنبِهِ الباذخِ في عُمقِ الحبرِ
يصطادُ التَّعثرَ
فتضيقُ في عينيه الدُّنيا
ويُغلق بابَ الجحيم الإضافيِّ
ويمضي مطرزاً بالمحو
برفقةِ الغزلانِ
لا يتهجَّى الموت بينَ أقدامِها
لأنَّها تجري بما يكفي لتتَّسعَ الحياة..

(6)

الجغرافيا تدلُّ الحربَ علينا
علمٌ يُفضي إلى استلقاءِ الكائناتِ
الّتي تعلو وجوهَها الأحزانُ
منذ ابتكرَ العالمُ ملامحَ الالتواءِ
متوزّعًا بين أنينٍ وقضم..

قد يئنُّ الطُّغاةُ

وهم يقضمونَ تفَّاحة العمران..

يئنُّ الضَّحايا وهم يتساقطونَ بينَ الأسنانِ

الخريطةُ وارفةٌ

الموتُ بقامةٍ فارعة

والأوجاعُ الصغيرةُ تتلوى تحتَ المعطفِ

ليس لها أن تبردَ

إنها تذوبُ من وهج الإثارة..

قد يخرجُ رسامٌ

نَسَجَ ريشتَهُ من خيوطٍ باردةٍ

ألقتها الشَّمسُ

بينَ يدي امرأةٍ تغزلُ حرقتَها

إنَّه يجيدُ تلوينَ كلِّ من تراقص خارجَ الشُّرفةِ

من غرقى الزرقةِ

المتشظّين في هندسةِ الموتِ

الكامنين وراءَ لحى الانفجارِ

جبالِ الشعراء المنتحرين

والتَّحليق بمشنقةٍ حتى آخر المحيطِ

تشدُّ أعناقَ الضوضاءِ

كي تقتفي أثرَ السُّكون..

عند ضفاف الأنهار المنسيةِ
تقرأ الخصبَ في كفوف الأطفالِ
وتتمايلُ في أعينهم السنابلُ
سنشدُّ إلى أحداقهم رمية اليباسِ
كي لا يروا بعد اليوم غير الحطام
إنَّها لعبةٌ تجيدها الزلازلُ
كلَّما داخت الأرضُ
وكفَّت عن الانتظار..

الرسام صاحب يدٍ طولى

في تفخيخ المداراتِ

ونشرِ قمامةِ الاندثارِ

الخارجةِ من أسوار الحضارةِ

هكذا يتمُّ رسمُ الدُّنيا

في مسافاتِ الانهيارِ

فيخرجُ الشيطانُ

يتدلّى لسانُه وجعًا

مما سكبَهُ الإنسانُ من لعاب..

حنجرة المعنى

لم تصدحْ حتى اليومِ
بلدٌ من أوتار ممزقةٍ
غادرَتْ كلُّ العصافيرِ أغلالَها
رمت بين يديها حشرجةَ القمحِ
فأغمضَ الصوتُ الباردُ عينيهِ
تعالى تمثالٌ بهباءٍ مذبوحِ الشَّفتينِ
أورَثَنا دفءَ الأشلاءِ
الّتي تهذي بما يكفي
وتتركُ للخناجر فسحةَ التأويل..

حطَّت العصافيرُ فوق أشجارِ المنفى
الّذي لن يغردَ أيضًا
حرائقها منبعثةٌ من أجنحة بائدة
عندَما كان النَّفي لصيقَ التحليقِ
والهبوطُ رفيقَ الإيناع..
اليومَ لا ترابَ ننقشُ عليه أغانينا
المشانقُ وحدَها من يقفُ عليها الهديلُ
موعودةٌ بالامتداد..

ذابت اللغةُ في خدعةِ الانتظارِ

وتعثَّرت في حبالِ الوقتِ

فائضًا عن حاجةِ الثرثرةِ

لأن تتلوّى في مسارحِ الدُّنيا

وتنسى أبجديةَ العيون..

لم يبقَ إلا الصمتُ

يمشي بعكّازينِ

فنلهثَ وراءَهُ

نجمعَ ما تناثرَ من كلام..

نحن المعجونين من صلصالٍ بائسٍ
نقفُ عند رداءةِ العتبات..
في العمقِ ظِلالٌ من طينٍ
في المنفى طينٌ فوق الظلال..
لم تفتح لنا المسرَّة رتاجَها
فترتفع الأيدي المعروقةُ بالتَّصفيقِ
ولم يُغلِق العناءُ علينا بابَه
فنغرف العرقَ النازلَ من أصداغ الجوعى
ونسقي به حقولَ التَّجريب..

نتسكعُ بين المرايا

ندخلُ فيها فتثرثرُ حمامةٌ بالموتِ

ونخرجُ منها فيتشدَّقُ سيفٌ بالغناء..

ليسَ لنا في لعبة الانعكاس

غيرُ الدفءِ النابتِ بين القدمينِ

يضيءُ أصقاعَ الروحِ

ويزرعُ الهمسَ الخافتَ في الخطوات

وكلَّما نمتدُّ نشيجًا

نتلاشى

حين تغني الطلقةُ بين العينيين..

تزهرُ حنجرةٌ في حَلْقِ المعنى

تضيءُ أوراقَه الذابلاتِ

تلك التي حَمَلَها منذ الأزلِ

وخَطَّت على كاهلِ العمرِ نقشَ البقاء..

يذوبُ المغني في نايِهِ

يظلّل كلَّ هذا الأثرِ

وينحِتُ من جرحِ الحجارةِ

بلدًا يُغرّد حتّى الصباح..

زمنا كورونا

(1) الحب

(2) الحرية

(1)

الحـــبّ

ســأنتظر..

حتّى تشيخَ الشجرةُ بجوارك

تلك التي نَمَت بماءِ القهرِ

وسقيتُها من أحداقٍ

لا تعرفُ الجفافَ

فلطالما سفكتُ الأنهارَ

وشققتُها أحزانًا ووحشةً

وعندما اكتنزَتُ بالامتلاءِ

علوتُ قربَ الغيمِ

وأصبحتُ في مهبِّ المطرِ

تعالَت الظِّلالُ

كما تعالَتْ على حبوي نحوَك التجاعيدُ..

تلك الشجرةُ..

ستسقط في جوقةِ الخريفِ

وتنام في قبوِ العمرِ الذي أكلته منّي

ذكرى طاعنةً بالثِّمارِ

وتمتدُّ حطبًا في كنف عائلةٍ باردةٍ

لن تتهجّى اسمَها النيران..

ســأنتظر..

ونحن ندلفُ الأعمارَ الصَّعبةَ

أن يكون لهذا الحلمِ بابٌ مفتوح..

(2)

الحــرية

كَتَبَ على جدار سجنِهِ

«قد جاء فيروسُ اذكرونا»

هكذا يحلمُ القابعُ في الظُّلماتِ

أنْ يخرجَ على صهوةِ فيروس اللحظةِ

التي تتراجع عن رصِّ القضبانِ

ليمضيَ نحو صناعةِ الأجنحة..

يحلم بأن يستيقظَ مجروحًا بالضوءِ

في سوادِ العزاءاتِ

يستنشقُ البياضَ

كما يليق بميتٍ على الطريقِ

تنهشُهُ ديدانُ الدهشةِ

ينتقلُ من ذنب إلى آخرَ

بقدمين تركلانِ الفضاء..

المنسيّون وراءَ الجدرانِ

يوشوشونها

ماذا تقولُ وهي تتداعى للهواء الطلقِ

وكيف تُربِّت بقاياها على أحبتهم

وعندما لا يكفي هذا الحطامُ

يدقّون رؤوسَهم في جدران أخرى

كبرت داخلَهم

ونسيَت أن تستيقظَ في وهج الحرية..

لا هواءَ يتحرَّكُ بينهم غيرُ الانتظار..

يتنفسون بما يكفي لتوزيع الألمِ

فيُثار الصبرُ

الذي أصبح قامةً توشك على الانتحار..

جاءت أيقونةُ الصعود إلى النّور
بجثمانها الرثِّ
خارجةً من حماقة التَّجريبِ
ستفتعل العراكَ
مع الأجساد المكبّلة بالسلاسلِ
سيتوقفون عن النبضِ
لكنَّ أقدامهم ستشقُّ طريقًا
لن تشرق فيه غيرُ الأعين
التي تعثَّرت بما يكفي
وهي تمضغُ الظلام..

خدعة الأعمار

أيّ الأعمار أنا؟

أيّ الأزمنة دخلتُها في لوثة البحث

عن أشباهٍ وظلالٍ

تمضي معي

تضحكُ في المرايا

تحملُ عني حقيبة السؤالِ

وتقرأُ قصائدي

التي انشقَّت في طريق الحبِّ ضفيرتين

وتهدَّجت في غمار الحربِ دمعتين

تسرُجان ليلَ القهر

وتخفُتان..

أيّ الأعمارِ..؟!

من بسمةٍ مسفوحةٍ في الشبابيكِ

إلى خفقةٍ مذبوحةٍ في الممراتِ

يراها ذلك الكامنُ آخرَ الأفقِ

يتربَّص اللحظاتِ الخائبةَ

علَّها تجري مغمَضَةَ الروح إليهِ..

الواقفُ انتظارًا في ناصية الخوفِ

يقلّبُ يديه توجُّسًا

أن يأتيَ الحبُّ ريانًا

أكثرَ من قدرته على الارتشافِ

أي الأ.....؟

لي أن أحبو

في فمي حليبُ الكلماتِ

تقطرُ من أحشائي

وتضيءُ لوثتي..

ولي عكازٌ كاذبٌ أترنَّحُ عليه..

يدفعُني إلى الخلفِ

لأقترفَ ارتطامًا بالجدار

يذكّرني بعمر القسوة الّتي لم تشخْ

وقد اشتدَّ عودها

وأضحت خنجرًا في خاصرة المحاولة..

أيّ ...؟

من أول قطرة حبرٍ تورقُ

إلى آخر رشفةِ دمٍ تشتعلُ

يراني فيها العالمُ

أتهجّى العذاباتِ وحدي

أمامي بياضُ ارتعاشي

على سبورةٍ من سوادٍ

وخلفي خصلاتُ البرق

تُعلّم الريحَ الكتابةَ

فأقذف أوجاعي

كي ترفرفَ صحبةَ الاتِّساعِ

وأقفزُ من سور ظنّي

بقدمين لا تجيدانِ الوقوفَ على حافَّة الحتف..

ولا الغمرَ في المنافي الراكدة..

أنا النطفةُ والجثَّةُ

أنا النَّارُ والرَّمادُ

أنا القطرةُ والطوفانُ

يداي من خشبٍ ناطقٍ

ضارعتان في عتمةٍ بلا حواسَ

حاملتان للطباشيرِ

توزّعُني بين زوايا الضوءِ

وتلافيف الظلمةِ

أنا في مسودَّة السماواتِ

أدوّن وقتًا لا يشبهُني

كونه ركامًا زائدًا عن حاجةِ عقلي إلى الحبِّ

وحاجةِ قلبي إلى اليقظة..

احتیاج

إلى ع. ر

المرأةُ التي بجوارك

حسيرة الروحِ

ذات ألوان تصطفُّ خارجَ الضَّرورةِ

وقمصانٍ تتوجَّعُ من يقين المغادرة..

أنت بيرقُها الذي يرفرفُ

كي تمرَّ هاجعةً من غبار الحياةِ

تقفُ بين يديك

لتقرأ كذبةَ التغضُّنِ

تثقُ بأصابعك

فتعدُّ عليها اللحظاتِ المتبقيةَ للغيابِ

ثوبُك آخر ما يفصل بينَها وبين الريح

التي ترسمُ أحزانَ الاقتلاع..

دعْها تنامْ على كتفك..

إنَّها تراهن على آخر الدفءِ

كي تحملَه قبسًا في عتمةِ البرزخِ

يضيُء لها أسمارَ الوحشة..

دعها تتكئ على قامتِك
الممتدَّةِ بين الصلصال والهشيمِ
تهشُّ بها هذيانَ الأنيابِ
وهي تفتّش في عقل الكوابيسِ
عن شجرةٍ خرجت من تضاؤل الغابةِ
تهتُّك تفاحةِ النهاية
تظلّلها في الطريق إلى جنَّة المنسيينَ
الّذين تبعثَّروا في التفاصيلِ
وظلَّ شيطانهم مكتوفًا بلا غواية..

إنها تتعثر بابتسامتك..

تقترب من وجهها الراحل دون كدٍّ

تريدها أن تحطَّ بجوار الأسى

تغسلُ بها أجنحة الدموع المنتظرةِ

تسكبُها بين يدي الغفرانِ

وحيدةً

إلّا من ظلِّك الذي خرَّ ميتًا

يشاركها الانطفاء..

دعها تتنامى بجوارِكَ

تتوزَّع صورًا في كلّ الفراغاتِ

تتزود من متن رثائكَ الرابض بين الجمرِ

حيث النارُ هامشُ الكلمات..

إنَّها تتنفس في يمينكَ

لكثرةِ ما كتبتَها في صفحاتِ الروحِ

وتتعكَّزُ عليكَ

لفرط ما انتظرتَها في دروب الاشتياق..

أمامَها أمنياتٌ ضيّقةٌ

لتغادر هذا الاتِّساعَ

وتقفزَ خارجَ الرؤية..

سيتضاءل العالم إلى لوحةٍ ممطرةٍ

فارغةٍ إلّا من غيمتِها

سكبت لك الضحكاتِ

وهدهدت كلَّ هذا الحنينِ

يمشي على قدمين

ويهتفُ لك..

المصعد

نحن أبناءُ المصعدِ

المضاءِ بالثرثرةِ

حيث الكثيرُ من الكلامِ

المتدفّق من الظلامِ

يضيء زوايا الحسرةِ

فتنبت للصَّمتِ ألسنة من جحيم..

في المصعد يكنزون رداءةَ الوقوفِ
يبذرون القرفصاءَ المخمليَّةَ
لألوانٍ وسحناتٍ
لا تجيدُ النبضَ أعلى القدمينِ
لها يقينُ الخدشِ
متاهةُ الزجاجِ
فيها اتكاءة الضَّعيفِ
وثبةُ الظلال المحلِّقةِ

الجلادون وهم يصرخون
والضَّحايا وهم يقهقهون
الرعاةُ وهم يركعون
والرّعاعُ وهم يتألهون
الأصابعُ الضالَّة في معركةِ الإشاراتِ
وتلك التي تريقُ دمَ البوصلة..

من ينزُّ منهم العرقُ

تتدفَّقُ في عروقِهِمُ الدماءُ

المثابرون في الجري وراءَ الزمن

والكسالى الذين يأتيهم التاريخ مغسولًا

على طبقٍ من لهب..

الذين ينتعلون الجبالَ

كي تمرَّ الحضارةُ

الذائبون في شوكِ الأزقَّةِ

كي يتعالى الخواءُ

المبتورون بلا خطى

المستفزُّون بلا فتكٍ

لا يتشمَّمون وردَ الاقترابِ من الأرض..

أنوفُهم تنهلُ العدمَ

وأيديهم معقودةٌ إلى ما وراءِ النّسيان..

يكتظُّ المصعد بالراياتِ
المنسوجةِ من حريرِ الألمِ
تتناولها فسيفساءُ اللَّذَّة المعطوبةِ
يغسلُها الطوفان الظامئُ إلى لون التراب..
من صلصاله الموعودِ يقفُ
وينتعشُ في أخاديدِ الجماجمِ
يسيلُ على تعرُّجات الأسى
ويتذكَّرُ السَّماءَ التي رمقته بعينين يابستينِ
وأغرورقت أوداجُها بالدُّموع..

تغضَّنَتْ ملامحُ الهباءِ
الأزمنة تملأ جدرانَ المصعدِ
تتعثرُ في الفراغاتِ المتشابهةِ
والقاماتِ التي وزَّعَها حطبًا فأسُ الانتظار..
أيديهم على رؤوسهم
كما يليقُ بمهزومين في ماراثونِ التَّفسُّخِ
شهواتُهم على زنادِ الاندثارِ
عراكُهم قنديلُ الوقتِ
لا يدَ نابضة بالضوء تمتدُّ
للضغطِ على زرِّ الانطلاق..

صورة داكنة

ثلاثتنا في الصورةِ

متجاورات حدَّ التَّماهي

بين حرقة الرّوح وحرير الجسدِ

بين ضحكةِ الوجه وتشقُّقاتِ الكلامِ

قابضاتٌ على المسفوح من الوردِ

الملمومِ من البردِ

الكثيرِ من الشوكِ

واليسيرِ من العَبَق..

نابضاتٌ بمسافةٍ تخضرُّ كلما توالد الحنينُ

دافقاتٌ بماءِ التذكُّرِ

تكاد الصورة تذوبُ من رهافة الروحِ

وشدَّةِ الامتلاءِ

لكنَّها لا تتمزَّقُ

بل يزيدُها الوهجُ التصاقًا

السَّكينةُ تعلو الشفاهَ
فتنضج ابتسامةٌ من دفء الاقترابِ
يشابه التَّحليقَ من أعلى
حتّى عتباتِ البابِ
الّذي أُغلق على أنفاسِنا
فباركتهُ الشَّمسُ
حين دخَلَت جلدَنا
وشاركتنا كَسرةَ الارتعاشِ
وغادرتنا لتنقلَ للعالمِ
رعشةَ الفقدِ
بفعلِ الإطارِ الّذي كانَ خاليًا
حتّى الثُّمالة..

لا ظلَّ إلا لامرأةٍ

جمعتنا حولَ أحشائها

مائدةً لا تنضبُ فيها الطمأنينةُ

أسرجتها في أركانِ الرُّوحِ

فتفتَّقَ ألقُ الدُّنيا

تتقاذفُه أيدٍ موعودة بالنَّماء..

الصُّورةُ اليومَ داكنةٌ

غابَتْ عنها الأضواء..

ظامئةٌ لا ماءَ في خصلاتِ الوردِ

لا دماءَ في عروق الوقفةِ الخالدةِ
ذابت كلُّها في مِلحِ الوقتِ
وتداعى البيتُ
الّذي أنجبَ عواءَ السَّلالم..
وغرسَ أنيابَهُ في ثوبِ العيدِ
لينهمرَ دمُ الأمِّ الَّتي ألبسَتْنا
كلَّ هذا الحبِّ
وأنسَتْنا كيَّ الأوجاعِ الرثَّة..

اضطراب

(1)

تُربِّتُ نجمةٌ على كتفي
وتقول: إني لا أرى
مذ سقطتُ في قلب النَّارِ
احترق بصيصُ الخطواتِ
وتدلَّيتُ من أعلى
تَذكارًا لوجع الأرضِ
ليسَ أكثرَ من رماد..

عمايَ في الممراتِ

أتلمَّس أعقابَ السجائرِ

تخدشُ وجهَ الظلامِ

ويغيب نافثوها في التيهِ

يخرج من أفواههم

حارسُ انتظاراتهم على بابِ الشمسِ

حيث يلمع دفءُ الأرواحِ

وتتدحرجُ دمعةٌ من ليل القَسوةِ

تحطُّ على راحتي..

نتبادل إشراقةَ التَّذكُّرِ
فتورقُ خيوطُها الهاجعةُ
دربَ الضَّالِّينَ
ويتخلَّقُ على يديها النَّهار..

سأخطو كثيرًا

باذخةً تتعكَّزُ على الحاجةِ

تشبهَ دهشةَ العيون المطفأةِ

وهي تضرم النَّارَ في الصُّور العابرةِ

وأُحدثُ ضجيجًا

لكثرةِ ما أرى من طبولٍ

تشتدُّ في أُذُنِ الحُلكةِ

فتتقشَّرُ ذكرياتُ البياض بين أصابعي

أَقلبُ ألبومَ الأفقِ
أغرف من نيرانِ الأمسِ
وَهَجَ الممرّاتِ
تتكسر من شدَّة الإيقاعِ
وزهوِ الانتظار..

يرمقني الفقراءُ

أنا البعيدة حد الالتصاق

أتكاثرُ في أصابعِ المفقودينَ

وأرسمُ للعشَّاق نتوءاتِ الأملِ

أمضي على صراطِ الإنارةِ

فأتخفَّفُ من قمصانِ العتمةِ

وأُذيب سوادَها بين يدي الألق..

(2)

تُربِّت عُتمةٌ على كتفي
وتقول: إنّي أرى
أنا الأبديةُ أملأُ المكانَ
يتناسلُ من رحمي موتى النَّهاراتِ
يرمّمون العيونَ المفقوءةَ
يتحسَّسونَ عتباتِ الشَّمسِ
أتوهَّج خارجةً من مكيدةِ التَّاريخِ
وتَعاقبِ السَّيفِ والذَّهب..

يتعثرُ الجميع بحبال البَريقِ
تلك الّتي كلَّما ذابت روَّضتْ القفزَ
نحوَ مرابضِ التَّحليقِ
حيث أُنيرُ لهم شهوة السَّفكِ
يبقُرونَ بطونَ الغيمِ
ويُريقونَ دمَ النِّهايات..

الحرائق تفترش الأرضَ
تحرسُ برودة العمران
يتداعى بخفَّةٍ نحو الآلامِ
يشرب نبيذَ الانطفاءِ
يُكتب في سبورةِ العابرينَ
لا ظلَّ لها إلا الإنسانُ
يأخذ قيلولةً من اتِّقاد المعرفةِ
ويُغمضُ عينيه تحتَ التراب..

النيرانُ تلتهم الرؤيةَ المثقلةَ
وتمدُّ يديها إلى كلِّ ما راودَها في الخيالِ
وما تكدَّسَ في عيونها من كوابيسَ
حتى المطفأَ من الأشباح..
بكت خلفَ الأبوابِ المواربةِ
تتذكَّرُ سنوات الكمونِ
واستداراتِ الفَزَعِ
وظلمةَ الأقدام التي جَرَت منها
حتّى الانتشاء..

العالمُ بين النَّارِ والرَّمادِ

بين الضوءِ والانطفاءِ

بين الدَّمعةِ واليباسِ

سيظلُّ في منتصفِ المشيئةِ

لن يغادرَ صيرورةَ الاشتعالِ

لن يبرحَ لذَّةَ الارتواءِ

يتجمَّعُ الاضطرابُ على ظهرِهِ

عصا تهتفُ:

أنا نورٌ في يد الأعمى

ظلامٌ في يد الجلاد..

هوية

(1)

أنـا

صعدتُ غيومًا كثيرةً

وشربتُ من مائها المعتَّقِ

الذي اختزنته السَّمواتُ

ونسيتْ فيه خمرةَ العفوِ

وكلَّما تدلّى الكلامُ

أتنفَّسُ أيقوناتٍ ملأى بالانتشاءِ

فتزدادُ الوجوهُ اخضرارا..

تلك الّتي لم تغبْ عن صفحةِ الرّوحِ بعد
تركَتني ورقةً لا تعرفُ التَّحليقَ
موزعةً بين الخِصبِ واليَبابِ
بينَ اليقين والتَّشظّي
بين الغفوةِ والتحديقِ
أضيءُ كلَّما تعفَّرَت بالتُّرابِ
وتعثَّرَت بعلامات الاستفهامِ
وامتلأَت بالرَّصاصة..

دلفتُ الأبوابَ

وبكيتُ تحتَ النَّوافذِ

كنزتُ الحبَّ

وبذرتُ الذَّهبَ

رافقتُ الرِّيحَ تكنسُ أوجاعي إلى الأبدِ

وتأفَّفتُ في وجهِ العواصفِ

تقطفُ مضغةَ الاحتمالات..

تألَّقتُ في المنابرِ

وتلعثَمتُ أمامَ المرايا

جدباءَ في حضن الماءِ

خضراءَ في امتداد الصحاري..

أنا الآنَ في أفقٍ يتيمٍ

بأبوين من خيوطِ المتحفِ

تناسجا في حضنِ التَّاريخِ

وبلعا إبرة الزهدِ

ونسيا أن يخيطا ثوب الحسرات..

(2)

نحن

حين أسدلوا على الأرضِ ستائر الغيابِ

لم يبقَ لنا من معجمِ الفنِّ

غيرُ البرزخ..

لوحتُنا الأخيرةُ

نسيَها الرَّسَّامون في ذيلِ أخطائهم

وعلَّقوها أدنى الأضواء..

نراها حين نذهبُ أسفلَ المنحدرِ

تؤطّرنا كغرباءَ

ومعنا أعداؤنا الطيبونَ

الذين أوصلونا سريعًا هناكَ

لقدرتهم على تفخيخِ لغةِ الجَدَلِ

والزجِّ بالألسنةِ في أخدودِ الصمتِ

بما يليقُ بعشرة الآفِ سنةٍ من الكلام..

الكلُّ سيأخذ حيّزًا في التلاشي
سنثملُ بألوانِ الرَّهافةِ
ونبتلُّ بمطرٍ هاربٍ من قضمةِ البرقِ
خارجٍ من لمعة الأحقادِ
لنا أنْ نتشمَّمَ سيرةَ الوردِ
الذي وصَلَنا في أرذلِ الرائحةِ
ونتقافزَ حولَ نبع دمٍ
تجمَّعَ من هطولِ أحبَّةٍ
تساقطوا في سياقِ الإثارة..

الصفعاتُ الأولى ستتحدثُ

حين أضافت إلى تشكلنا هذيان الملامحِ

وإلى أقدامِنا رقصةَ الظلامِ

كي نضيءَ في اللوحةِ أكثرَ

محاطينَ بدموعِ أمهاتِنا

التي ذَرَفتها سنواتٍ

وتركَتْها غيومًا آجلة..

انکسار

تُحدِّق العصا في ظهرٍ عاطِنٍ
يُسقطُ على عتباته وشوشةَ الألمِ
ويتهجّى الكبرياءَ
ويركضُ في فيافي الحلمِ
ويقفزُ إلى مواقعِ النجومِ
ويشدُّ من أزر انحناءاتِ ثكلى
أمامَ جبال الرَّبِ المغدورةِ
حين كلَّم أنبياءَهُ
ونسيَ السِّياطَ صامتة
تنسلُّ من سُباتِها المقدَّسِ كلَّ صباح..

تحدّق في معمار الأرواحِ
وهي تُرتِّبُ جمرَها أجسادًا راكعة
تنشدُّ إلى الأرضِ
تُصغي أكثرَ إلى صوتِ التُّرابِ
قبلَ أنْ تحلَّ فيهِ
تتبادلُ فقهَ الصَّلصالِ
مع قلوبٍ أسفلَ الهجعةِ
أغلقت بابَ الحنين حتى آخر عاشقٍ
ترمِّمُه الذِّكريات..

لنا أوجاعُ الفكرةِ في الأعلى
وهي تتمزَّقُ في الغوايةِ
من يرتقُها بخيوطِ الأسئلةِ
كي لا تمارسَ الضَّجيجَ علينا
وتتعالى موسيقى الحربِ
تهدهدُ العالمَ
وتنسجُ أجنحةَ الفناء..

من وَضَعَ التعثُّرَ بينَنا
نحن المزدحمين إلى حدِّ الانكسارِ
نريدُ أنْ نقتربَ من أديمِ الراحلينَ
الّذين أشرقوا داخلَ زجاجِ الأبراجِ
وحين تكسَّرَتْ أوداجُهم
يفركون اليومَ رملَ العظات..

غيابات متقاطعة

عِمتَ مسافةً أخرى

سليلَ المنافي

إطراقةَ الغريبِ

وأنت تُقلِّب صُرَّة الطرقاتِ

تحملُها منذ نعومةِ أظافرِ الوحشةِ

وتمضي في الامتدادِ الطَّويلِ

قاضمًا خبزَ «لوركا»

الّذي أتخَمَهُ الشِّعرُ

وأَغلَقَ دونَ قصيدتِك بابَ الحب..

تبحثُ عن رائحةٍ شاردةٍ
لوردةٍ في يديكَ
زرعَتْها عيونُ الأمكنةِ
ونسيَتْ نسيمَها أعلى جبل التذكارِ
كما نسيَ الزَّمنُ على رأسِكَ
هالةَ الوجع..

الامتدادُ ينزعُ شَوكَ الوردةِ

خاليًا من ثقوبِ الصُّدفةِ المنتظرةِ

ويَمضي معك

يوشوشُك الجراحَ

تتطايرُ آهاتٌ تُناجي الذِّكرياتِ الخرساءَ

ماذا ستقولُ للشَّمسِ

بعد هذا الارتفاعِ؟

وكم ستأخذُ من احتراقاتِها

في جُعبةِ الهيام؟

ماذا ستقولُ للجراح بين القدمينِ

وهي تخرجُ حمراءَ من غيرِ سوءٍ

إلّا من غربةِ الاقترابِ

بين الخطوةِ والجمر..

عمتَ مسافةً كبرى
وأنت تغادر الجبلَ منسيًّا
مكلومًا من تعرُّجاتِ النجاةِ
تذوبُ في اللُّغة وحيدًا
عصاك في البحرِ
مترعةٌ بالاخضرار..

أُفتِّشُ عنّي بين حروفِك..

حين اتَّكأتَ على المخملِ

وتركتَني ذات ليلٍ في كومةِ قشٍّ

وعندما جفَّتْ من ظلاليَ الطُّرُقاتُ

صعدتُ لمرمر المناجاة

فصرتُ كليمَ الغيم..

فهرس المحتويات

الإهداء 5

قفص الالتهام 9
تسامح 17
ثالث الخطوات 25
عزاء غض 33
أشياء تدلُّ الحربَ علينا 43
حنجرة المعنى 67
زمنا كورونا 75
خدعة الأعمار 84
احتياج 95
المصعد 103
صورة داكنة 113
اضطراب 121
هوية 135
انكسار 145
غيابات متقاطعة 151

للتواصل مع المؤلفة

هاتف: 00967777884619

واتسب: 00967738199102

البريد الإلكتروني: hudaablan2009@yahoo.com